في الجنة تبتسمون والى اهل النار في النار يعذبون قال يا حارثة عرفت فالزم ومثل هذا هو الذي يكون
الدنيا سجنه كما قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ومن ثم قال ائمتنا لو اوصى
لاعقل الناس صرف للزهاد اي لانه لا اعقل منهم حيث اثروا الباقي على الفاني ومنها ان استحضار
لذاتها شاغلة للقلوب عن الله تعالى ومنقصة للدرجات عنده وموجبة لطول الحبس في الوقوف
في ذلك الموقف العظيم للحساب والسؤال عن شكر نعيمها ومنها كثرة التعب والذل في تحصيلها
وكثرة عيوبها وسرعة تقلبها وفنائها ومزاحمة الاراذل في طلبها وحقارتها عند الله تعالى ومن
ثم قال الفضيل ابن عياض لو ان الدنيا بحذافيرها عرضت علي حلالا لا احاسب بها لقذرتها
كما نقذر الجيفة ومنها استحضار انها وما فيها ملعونة كما في الحديث الدنيا ملعونة ملعون
ما فيها الا ذكر الله وما والاه او عالم او متعلم وفي رواية الا ما ابتغي به وجه الله تعالى اي انها وما
فيها مبعدي عن الله تعالى الا العلم النافع الدال على الله تعالى وعلى معرفته وطلب قربه وذكر الله
وما والاه مما يقرب الى الله فهذا هو المقصود منها وقد حلف طوائف من الفقهاء والصوفية ان ما يوجد
فيها من هذه العبادات افضل مما يوجد في الجنة من النعيم لانه حظ العبد ومن ثم قال كثير من المفسرين
في قوله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها ان الحسنة لا اله الا الله وليس شيء خير منها ففيه تقديم وتأخير
اي فله منها اي بسببها ولاجلها خير والصواب اطلاق ما جاءت به النصوص ان الاخرة خير من
الدنيا مطلقا للخبر الحاكم ما الدنيا في الاخرة الا كما اذا ادخل احدكم اصبعه في اليم فما اخرجه منه
فهو الدنيا فهذا نص بتفضيل الاخرة على الدنيا وما فيها من الاعمال اذ كمال الدنيا انما هو في العلم والعمل
فالعلم يتضاعف في الاخرة بما لا نسبة لما في الدنيا اليه فان العلم اصل العلم بالله تعالى وصفاته
وفي الاخرة ينكشف الغطا ويصير الخبر عيانا والمعرفة بالله تعالى رؤية له ومشاهدة والعمل
البدني المقصود به اما اشتغال الجوارح بالطاعة وكدها بالعبادة وهذا مرفوع عن اهل الجنة واما
اتصال القلوب بالله تعالى وتنزيهها بذكره وهذا حاصل لاهل الجنة على اكمل الوجوه بل لا نسبة
لما حصل لقلوبهم في الدنيا من القرب والانس الى ما يحصل لها في الجنة من المشاهدة عيانا والتمتع
بسماع الكلام لا سيما في اوقات الصلاة في الدنيا والمقربون يحصل لهم ذلك مرتين بكرة وعشيا
وقت صلاة الصبح والعصر ولهذا لما ذكر صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة يرون ربهم حض عقبه
على المحافظة على صلاة الصبح والعصر وكذلك نعيم الذكر وتلاوة القران لا ينقطع عنهم ابدا فيلهمون
التسبيح كما يلهمون النفس ويقال لقارئهم اقرأ وارق فبان بذلك ان قوله من جاء بالحسنة

فله خير منها

فله خير منها انه على ظاهره فان ثواب كلمة التوحيد في الدنيا ان يصل صاحبها الى قولها في الجنة على
ما يختصون به من تفاصيل العلم بالله تعالى واسمائه وصفاته وقربه ورؤيته ولذة ذكره وغير ذلك مما لا
يمكن التعبير به ومنها استحضار ان تركها موجب لرفعة الدرجات وحلول الرضوان الاكبر منه تعالى في دار
الكرامات ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم يُحِبَّكَ بفتح اخره لانه لما كان مجزوما جوابا لازهد واريد
ادغامه سكنت باؤه الاولى بنقل حركتها الى الساكن قبلها فاجتمع ساكنان فحرك الاول لاستثقالها بالفتح
تخفيفا الله لانه تعالى يحب من اطاعه ومحبته مع محبة الدنيا لا تجتمع كما دلت عليه النصوص والتجربة
والتواتر ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة والله لا يحب الخطايا ولا اهلها
ولانها لهو ولعب والله لا يحبها ولان القلب بيت الرب ولا شريك له فلا يحب ان يشرك في بيته
حب دنيا او غيره والحاصل انا نقطع بان محب الدنيا مبغوض عند الله تعالى والزاهد فيها محبوب له تعالى
ومحبتها الممنوعة هي ايثارها لنيل الشهوات واللذات لان ذلك يشغل عن الله تعالى اما محبتها لفعل
الخير والتقرب به الى الله تعالى فهو محمود للخبر نعم المال الصالح للرجل الصالح يصل به رحما ويصنع به معروفا
وفي اثر اذا كان يوم القيمة جمع الله الذهب والفضة كالجبلين العظيمين ثم يقول هذا مالنا عاد الينا
سعد به قوم وشقي به اخرون ثم المحبة لاستحالة حقيقتها عليه تعالى اذ الميل النفسي منه وهو واضح
او اليه لانها ان فسرت بارادتنا فهي حادثة والحادث لا يتعلق بالقديم وان فسرت بما يتعلق بتلذذ محسوس
فالله تعالى منزه عن ذلك المراد بها في حقه تعالى غايتها من ارادة الثواب فتكون صفة ذات او الاثابة
فتكون صفة فعل وفي حقنا طاعة الله تعالى وتعظيمنا اياه وموافقته على جميع مراداته مع رجاء ان
يثيبنا على امتثال امره واجتناب نهيه وينعم علينا بنعمه التي لا تحصى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه فلا منعم به غيره ولا محسن الا اياه
اذ هو الخالق المحسن واحسانه فكان هو الحقيق بالمحبة كما اشار لذلك صلى الله عليه وسلم بقوله جبلت
القلوب على حب من احسن اليها ومن محبته تعالى محبة من احبه من نحو نبي او ملك او ولي ومن ثم الاستاذ
ابو القاسم القشيري قسيمها المذكورين بكلام نفيس حاصله انها منه تعالى للعبد ارادته لانعام مخصوص
عليه كما ان رحمته ارادته مطلق الانعام فالمحبة اخص من الرحمة وهي اخص من الارادة فارادته
تعالى وان كانت صفة واحدة الا انها تتفاوت بحسب تفاوت متعلقاتها فمن تعلقها بالعقوبة
تسمى غضبا وبعموم النعم رحمة وبخصوصها محبة ومن العبد له تعالى حالة يجدها في قلبه تلطف عن
العبارة وقد تحمله تلك الحالة على تعظيمه وايثار رضاه وقلة الصبر عنه مع الاستيناس بدوام

Copyright © King Saud University